المحور الثالث: مدخل إلى علم النفس البيداغوجي: تعريف التربية البيداغوجيا التعليمية / مجاله وموضوعه .

مقدمة:

عندما نتحدث عن "التربية" و"البيداغوجيا" و"علم النفس"، فإننا نتحدث عن **مجالات متداخلة** تسعى جميعها إلى هدف واحد: **فهم الإنسان وتنمية قدراته** حتى يصبح عضوًا فاعلًا في المجتمع، والمربي أو الأستاذ لا يستطيع النجاح في مهمته إذا لم يفهم **الجانب النفسي للمتعلمين:** كيف يفكرون؟ لماذا يتعلمون؟ ما الذي يجعل بعضهم ينجح بسرعة بينما يتعثر آخرون؟ هنا يظهر دور **علم النفس البيداغوجي،** الذي يربط بين **النظرية التربوية** و**الممارسة التعليمية،** فيساعدنا على تفسير سلوك المتعلم وتوجيهه نحو النجاح.

أولا: تعريف المفاهيم الأساسية

1. مفهوم التربية:

◆**تعريف لغوي:** التربية مشتقة من الفعل "رَبَّى"، أي نمّى وأصلح، وتهدف إلى **تنمية الإنسان من جميع النواحي.**

◆**تعريف اصطلاحي:** يرى عالم الاجتماع **إميل دوركايم** أن التربية هي: العمل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال التي لم تنضج بعد للحياة الاجتماعية، أي أنها عملية **اجتماعية وإنسانية** تهدف إلى إعداد الفرد للاندماج في المجتمع.

إذن: التربية لا تعني فقط الدراسة داخل القسم، بل تشمل أيضًا **تنمية القيم والأخلاق والتفكير النقدي،** فمثلاً، عندما يتعلم الطالب الصدق والاحترام والعمل الجماعي، فهذا شكل من أشكال التربية، وحين يُشرك الأستاذ تلاميذه في تنظيف القسم وتنظيمه، فإنه يربي فيهم روح المسؤولية والانضباط، وهي قيم تربوية لا تقل أهمية عن المعرفة الأكاديمية.

2. مفهوم البيداغوجيا التعليمية:

◆**تعريف البيداغوجيا(Pédagogie)** : هي كلمة يونانية الأصل تعني "فنّ قيادة الطفل"، لكنها اليوم تُستخدم بمعنى **العلم الذي يهتم بطرائق التدريس وأساليب التعليم،** إذن هي مجموعة القواعد والمبادئ التي تساعد المعلم على **تنظيم عملية التعلم،** مثل:

- كيف يشرح الدرس؟

- كيف يحفز المتعلمين؟
- كيف يتعامل مع الفروق الفردية بينهم؟

مثال: في درس القراءة، يمكن للمعلم أن يستخدم طريقة "القراءة الجماعية" لتقليل خوف المتعلمين من الخطأ، وهي طريقة بيداغوجية تراعي الجانب النفسي.

إذن: البيداغوجيا التعلمية ممارسة واعية تستند إلى معرفة علمية بخصائص المتعلم وآليات التعلم، فهي **فنّ وعلم** في آنٍ واحد، لأنها تجمع بين **المهارة التربوية** و**المعرفة العلمية بالنفس البشرية**.

ثانيا: مجال علم النفس البيداغوجي وموضوعه

1. مجال علم النفس البيداغوجي

◆**التعريف:** هو فرع من علم النفس الذي يدرس **سلوك المتعلم أثناء عملية التعلم**، و**سلوك المعلم أثناء عملية التعليم**، والعلاقة بينهما في إطار المؤسسة التربوية.

◆**مجاله التطبيقي يشمل:**

- **الدافعية:** ما الذي يدفع المتعلم للتعلم؟
- **الانتباه والإدراك:** كيف يركز ويفهم المعلومات؟
- **الذاكرة والنسيان:** كيف يحتفظ بالمعلومات ويسترجعها؟
- **الانفعال:** كيف تؤثر الحالة النفسية على التحصيل؟
- **العلاقات الاجتماعية داخل القسم:** كيف تؤثر علاقة الأستاذ بزملائه وبالطلبة في التعلم؟

مثال: إذا لاحظ المعلم أنّ طالبًا لا يشارك في القسم، يمكن أن يكون السبب خجلًا أو خوفًا من السخرية، باستخدام مبادئ علم النفس البيداغوجي، يمكن للمعلم أن:

- يغيّر مقعد الطالب ليجلس بجانبه صديق داعم،
- أو يمنحه أدوارًا بسيطة تشجعه على التفاعل تدريجيًا.

إذن: المدرسة ليست مكانًا لتلقين المعلومات، بل بيئة اجتماعية يتعلم فيها المتعلم من خلال التفاعل والخبرة، وهذا يعبّر تمامًا عن روح علم النفس البيداغوجي الذي يربط التعلم بالحياة اليومية.

2. موضوع علم النفس البيداغوجي:

موضوعه الأساسي هو **التعلم الإنساني** في بيئة تربوية، أي دراسة كل ما يؤثر في اكتساب المعرفة والمهارات، ومن موضوعاته الأساسية:

- **طرق التعليم الفعّالة.**
- **الفروق الفردية** بين المتعلمين.
- **العلاقة بين الدافعية والتحصيل الدراسي.**
- **تأثير البيئة الاجتماعية في التعلم.**
- **مشكلات التعلم** مثل صعوبات القراءة والكتابة والانتباه.

مثال: في حالة طالب يعاني من صعوبة في القراءة، لا يجب أن نعتبره كسولاً، بل نبحث من خلال علم النفس البيداغوجي عن السبب: هل المشكلة في النطق؟ أم في الذاكرة البصرية؟ أم في طريقة عرض النص؟ ثم نضع خطة علاجية تراعي الجانب النفسي والمعرفي.

ثالثا: العلاقة بين علم النفس البيداغوجي والممارسة التعليمية

◆العلاقة علاقة تكامل:

- علم النفس يفسّر سلوك المتعلم.
- البيداغوجيا تطبّق تلك المعرفة لتصميم دروس فعّالة.

◆من مظاهر التكامل في القسم:

الجانب النفسي	المقابل البيداغوجي
دافعية التعلم	التحفيز والتشجيع
الفروق الفردية	تنويع الأنشطة التعليمية
الانتباه	استعمال الوسائل البصرية والسمعية
النسيان	التكرار والمراجعة الدورية

مثال: عندما يلاحظ المدرس أن التلاميذ فقدوا الانتباه، فإنه يستخدم استراتيجية **كسر الروتين:** بطرح سؤال مفاجئ أو تمرين جماعي، هذا التصرف بيداغوجي، لكنه مستند إلى مبدأ نفسي هو **استعادة الانتباه عبر التنبيه الحسي والعقلي.**

رابعا: الأهمية التربوية لعلم النفس البيداغوجي

1. **فهم المتعلم:** يساعد الأستاذ على اكتشاف قدراته وصعوباته.
2. **تحسين المردودية:** بتوظيف الدافعية والمكافأة بدل العقاب.
3. **اختيار طرائق التدريس المناسبة:** مثل التعلّم التعاوني أو التعلّم الذاتي.
4. **ضبط العلاقة التربوية:** بالاحترام المتبادل والتواصل الإيجابي.
5. **التعامل مع المشكلات السلوكية والتربوية** بطرق علمية.

مثال: إذا كان أحد التلاميذ عدوانيًا، على الأستاذ أن يفهم أولًا **الدافع النفسي وراء السلوك** (كالإحباط أو التهميش)، ثم يعتمد **استراتيجية الحوار والتقويم الإيجابي** بدل العقوبة المباشرة.

الخاتمة:

إنّ **علم النفس البيداغوجي** ليس علماً نظرياً بعيداً عن الواقع، بل هو **أداة عملية** تساعد المربي على فهم المتعلم وإدارة الصف بذكاء نفسي وتربوي، فهو يربط بين العلم والسلوك، وبين النظرية والتطبيق، ليجعل من التعليم عملية إنسانية متكاملة، ومن خلاله، يتحول الأستاذ من "ناقل للمعلومة" إلى **موجّه ومرافق للمتعلمين في رحلتهم نحو النموّ المعرفي والوجداني.**